10

إلى متى يظل السلام مع إسرائيل خيار العرب الاستراتيجي؟

لابد أن نؤكد ابتداء أن مفهوم السلام عند العرب يختلف تماماً وعلى النقيض من مفهوم السلام عند إسرائيل. ويترتب على هذا الاختلاف الكامل أن الطرفين يتحدثان لغتين مختلفتين مع استخدام نفس العبارات والكلمات. فالعرب يريدون السلام مثلما تريد إسرائيل، بل إن العرب فطنوا إلى أن إسرائيل تتاجر بكلمة السلام حتى تكسب الرأى العام العالمى فعمد العرب إلى دخول الساحة والتسابق معها على كلمة السلام ومفرداتها، وهى المفاوضات، والحلول التوافقية ونبذ العنف، وترسيخ ثقافة السلام. بل إن العرب ظنوا أنهم بذلك حسموا المعركة مع إسرائيل وظنوا أنهم قد أنهوا حيلها بالضربة القاضية حين اكتشف فلاسفتهم أن العرب يحبون السلام أكثر من إسرائيل، فأعلنوا أن السلام خيار استراتيجى، لا يحيد عنه العرب مهما تشددت إسرائيل وتنكرت لمقتضيات السلام. وترتب على ذلك كله أيضاً ميلاد العديد من المصطلحات والتصرفات التى تدفع الطرفين العربى والإسرائيلى إلى مسارات متناقضة. فحار الفهم فى هذه المعادلة، ولم يعد للتفسير إلا احتمالين وهما إما أن العرب يدركوا ما يقولون، وإما أن حسن نيتهم وسمو أخلاقهم لم تكتشف الحيل الإسرائيلية ومشتقات السلوك الإسرائيلى.

ونقطة البداية هى أن العرب فهموا السلام على أنه رد الحقوق ولو جزئياً إلى أصحابها، فدفعتهم لهفتهم إلى السلام إلى اختزال الموقف فى معادلة قدمتها واشنطن

وتلقفها العرب تلقف الغريق بأى شيء، وهى الأرض مقابل السلام. وحتى هذه المعادلة الخبيثة بالغة الغموض قدمت إسرائيل لها التفسير الرسمى على لسان قادتها السياسيين مثل شارون وبيريز وغيرهما. والطريق إلى هذا السلام هو التفاوض بحسن نية والاتفاق على كل شيء بحيث يترك الأطراف القضية وراءهم بعد الاتفاق. أما إسرائيل فترى أن السلام لإسرائيل وحدها وأن الطريق إليه هو إضعاف الطرف المطالب بالسلام بحيث يتراجع موقفه كثيراً ويسلم فى النهاية بتسليم كل فلسطين وتمهيد المنطقة وتوطئتها لممارسات القوة والهيمنة الإسرائيلية لعل ذلك يحفر حفرًا عميقاً فى قلب المنطقة لقرون قادمة وينسى الشعوب ما كان قبل هذه العملية الجراحية. والطريف أن العرب وإسرائيل يلتقون ويعلنون بأعلى الصوت تمسكهم بهذا السلام، كل بمفهومه. ولا يخفى أن المفهوم العربى القائم على التمنيات وليس أوراق القوة شجع إسرائيل على المضى فى مفهومها وطمأنها إلى سلامة هذا المفهوم، فصارت تمتهن علنا المفهوم العربى مع ذهول إسرائيل من هذا التناقض المخيف بين قدرات العرب، وبين أدائهم ومفهومهم، حتى يداخلها أحياناً شك فى أن يكون العرب فعلاً يقصدون ما يقولون.

لقد فهمت إسرائيل أن السلام حتى بالمفهوم العادى يحتاج إلى استمرار ميزان القوى التى صنعته، فإن اختل الميزان اختل المفهوم لصالح الأقوى، فليس هناك سلام تحرسه الأخلاق وحسن النوايا. والسلام الإسرائيلى يعنى التوسل بكل طريق لبلوغ أهداف إسرائيل فى فلسطين والمنطقة، وتخدير العالم العربى بكلمات السلام والمفاوضات ونبذ العنف والحرب والدمار، أما إسرائيل فتستخدم فى تحقيق سلامها كل صنوف الدمار والإبادة.

والخلاصة هى : أن التناقض الكامل بين المفاهيم العربية والإسرائيلية جعل الحوار بين الطرفين حواراً للطرشان ولا يؤدى بطبيعة الحال إلا إلى استمرار طريق السلام الإسرائيلى.